المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

# الدين والتهكم عند كيركيغارد.

**بن زينب شريف**
**طالب دكتوراه علوم/ جامعة وهران2.**
**تحت إشراف: أ.د دراس شهرزاد/جامعة وهران2.**

**« إنَّ ما أحتاج إليه هو التَّوافُق مع ذاتي،بأَن أَجد حقيقةً تكونُ صادقةً بالنسبة لي،وأن أعثُر على الفكرة التي أعيشُ وأموتُ مِن أجلها».**
***سورين كيركيغارد.**

**ملخص:**

تعتبر المسألة الدينية من بين المسائل التي فرضت حضورها ولا تزال بقوة في المشهد اليومي على مدار الحقب التاريخية، كما أخذت حيزا من التفكير الفلسفي، فجاءت المواقف الفلسفية متباينة بخصوصه. فكانت النصوص المؤسسة مؤنسنة، مما جعل التدين الزائف يفقد الدين روحه الخالصة، يؤسس للاغتراب أكثر ما يرسم معالم الخلاص والسعادة المنشودة. لهذا نجد سورين كيركيغارد (Søren Kierkegaard(1813- 1855 يحاول من خلال استحضار التهكم السقراطي يحاول نقد التدين الزائف الممارس من طرف المتدينين الذي سلبوا الإنسان إنسانيته من خلال استغلال الدين لأغراض شخصية.

**كلمات مفتاحية:**

الدين، التدين، التهكم، الوجود، الإنسان.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

**توطئة:**

لا يختلف اثنان كَوْنَ الدِّين ظاهرة إنسانية اجتماعية بامتياز، وإذا كان بمقدورنا الوقوف على مجتمعات غير متدينة، فلا يمكن العثور على مجتمع مُتَديِّن من غير دِينْ مع استحضار للمقدس، ومهما اختلفت طبيعة الدِّين الممارس من دين وضعي أو دين مرسل، فإن المجتمعات المتدينة تقوم على الإيمان المشترك بالمقدس، وتروم من خلال هذا الإيمان، حماية الإنسان من الاغتراب الكوني، والقلق الوجودي الذي صاحب الإنسان منذ ظهوره في خضم هذا الوجود المترامي الأطراف، كما يعمل الدين على حماية معتنقيه من العبثية واللامعنى. كما أننا قد نجد أديان عديدة في مجتمع واحد ولهذا «فإن الدين ليس شيئا يضاف إلى المجتمع من خارجه، بل هو مؤسسة من مؤسساته ومكون من مكوناته التاريخية»[1] ولا يكون كل هذا إلا من خلال ممارسة طقوسية إيمانية روحية تستحضر قوة متعالية متمثلة في الإله منبع الوحي والتشريع. لهذا كثيرا ما يطلق على الإنسان أنه حيوان متدين[2]، كما لم يغب موضوع الدين والتدين و المقدس عن الفلسفات القديمة والحديثة، حيث بالكاد نجد فيلسوف لم يتناول هذه الموضوعات إثباتا أو نفياً. إن قضايا الدين والإيمان والإلحاد ووجود الإله من عدمه، قضايا لا تزال حاضرة بقوة في الفكر الفلسفي الغربي الحديث والمعاصر، ما جعل آراءهم تتباين وتختلف من فيلسوف إلى آخر، وتتعارض في الكثير من الأحيان مع مفهوم الكنيسة بالخصوص. مثلا يعترف باروخ سبينوزا(1632-1677) Baruch Spinoza في رسالة إلى صديقه هنري أولدنبرغ*(1619-1677) Henry Oldenburg عن رأيه في الدين وعن معتقده فيقول:« إنني أعتنق رأياً عن الإله والطبيعة، يختلف كل الاختلاف عن الرأي الذي يدافع عنه المسيحيون المحدثون، فأنا اعتقد أن الإله هو العلة الباطنية للأشياء جميعا، ولكني لا أعتقد أنه العلة المتعدية... وأنا أقول: إن كثيراً من الصفات التي يرون، ويرى جميع الآخرين الذين اعرفهم على الأقل – إنها من صفات الإله- أرى أنها أشياء مخلوقة. ومن ناحية أخرى، فإن الأشياء التي يرون أنها مخلوقة – بسبب تحيزاتهم- أرى أنها صفات للإله، ولكن يسيؤون فهمها، وكذلك لا أستطيع

1- وجيه قانصو، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى2007، ص11.12

2- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1996، ص11.

* دبلوماسي وفيلسوف طبيعي ولاهوتي ألماني .كان أحد أبرز رجال الاستخبارات في أوروبا في القرن السابع عشر، مع شبكة من الجواسيس تضم فابري دي بيرسك ومارين ميرسين وإسماعيل بوليو. وعند تأسيس الجمعية الملكية، تولى مسئولية المراسلات الأجنبية كسكرتير أول للجمعية.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أن أفصل الإله عن الطبيعة على الإطلاق، وهذا ما فعله كل من أعرفهم»[1]، سبينوزا برسالته هذه يوضح فكرته اتجاه الله إنها مغايرة لما هو سائد عند الغير فهي فكرة ذاتية جوانية نابعة عن قناعة شخصية وفهم ذاتي للعالم والإله، فالاعتقاد ليس بالضرورة يكون مسايرا للكثرة قد تكون الغالبية على اعتقاد خاطئ. أما ايمانويل كانط(1724-1804) Emmanuel Kant يقدم صياغة ذات عمق فلسفي للدين، كانط الداعي إلى ضرورة تحرر العقل الإنساني من قصوره الذاتي الذي أغرق فيه ذاته، كان صريحا في دعوته إلى ضرورة إيجاد حلا فلسفياً وسطاً وصادقاً للمنحة التي عاشتها الثقافة الغربية في شقها الديني، خصوصاً الاعتقاد في الله، معتقدات جعلت المجتمعات تعاني من ألآم ومحن[2]، لهذا يُحمِّل كتبه النقدية خاصة كتابيه" نقد العقل العملي" La Critique de la pratique raison و " نقد العقل الخالص" La Critique de la raison pure و كتاب " الدين في حدود مجرد العقل"La Religion dans lilimets de la Raison نظرته لمفهوم الله والدين أو مكانة الأخلاق في الدين، حيث يقول: « إنما الأخلاق تقود على نحو لا بد منه نحو الدين... الأخلاق مؤسسة على مفهوم الإنسان، الأخلاق لا تحتاج أبدا فيما يتعلق بذاتها إلى الدين... بل بفضل العقل المحض العملي هي مكتفية بذاتها»[3].

أما جورج فيلهلم فريدريش هيغل(1770-1831) Georg Wilhelm Friedrich Hegel يعرف الإنسان وعلاقته بالدين فيقول:« هو وحده الذي يمكن أن يكون له دين، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بقدر ما تفتقر إلى القانون والأخلاق»[4]، وهنا يؤكد هيغل على فكرة ارتباطية الدين بالإنسان، كما لا تقتصر دراسة الدين والتدين عند الإنسان من طرف الفلاسفة فقط، وإن كان الموضوع المحوري في الفلسفة الدين، إلا أن المشتغلين في شتى المجالات الفكرية الأخرى يناقشون الدين من وجهات نظرهم المتباينة، لهذا يضيف هيغل فيقول:« موضوعات الفلسفة هي نفسها- بصفة عامة – موضوعات الدين: فالموضوع في كليهما هوالحقيقة، وهما ينتقلان بطريقة متشابهة إلى معالجة العالمين المتناهيين: عالم الطبيعة والروح المتناهي، من حيث علاقة الواحد منهما بالآخر ومن حيث علاقتهما بالله بوصفه حقيقتهما»[5].

## تعريف الدين Religion:

1- جيمس كولينز، الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، 1973، ص103.
2- المصدر السابق، ص230.
3- إمانويل كانط، الدين في حدود مجرد العقل، جداول، بيروت، 2012، ص12-45.
4- هيغل، موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، ب ط، ب ت، ص51.
5- هيغل، موسوعة العلوم الفلسفية، ص 51.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يعتبر الدين الظاهرة الاجتماعية الأكثر حضورا عند الإنسان، بل والأكثر تأثيرا في سلوكاته وحتى حضارته التي بناها، فالشعوب القديمة ممثلة في الشعوب المستقرة المؤسسة لمفهوم العمران أو مرتحلة على شكل قبائل، فكلاهما أسس لمفهوم الممارسة الدينية ممثلة في طقوس وعادات ونذور. لهذا نجد التباين في التعريفات التي قدمت للدين ونورد منها على سبيل الذكر لا الحصر:

يُعرِّف أندريه لالاند( André Lalande(1876-1963 الدِّين على أنَّه « مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين، (1) بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ،(2) بالاعتقاد في قيمة مطلقة، لا يمكن وضع شيء آخر في كفة ميزانها، وهو اعتقاد تهدف الجماعة إلى حفظه،(3) بتنسيب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان، وهذه ينظر إليها إما كقوة منتشرة، وإما كثيرة، وإما وحيدة، هي الله »[1].

يعلق لالاند على تعريفه، أنه يتغاضى عن العنصر الأساسي والخصوصي في وعي الإنسان المتدين، حيث أن هذا العنصر ليس موضوعا ولا فكرة ولا قوة قد يمتلكها الإنسان، لأنه كان قد كونها أو قد استحوذ عليها، بل هو ذات كائن حي ومريد وخفي لا تدركه الأدوات الطبيعية لفكرنا ولفعلنا، ولا يكشف عن ذاته إلا بالشهادة التي يصرح بها عن ذاته وعن تعاليه الشأني، بالرسالة المنزلة أو المأمور بها في المعتقدات والممارسات التي تضع في متناولنا مكنونيته بالذات، أي عدم قابليته للبلوغ إلا بذاته[2]. وإذا كانت الممارسة البشرية للدين لا تخلو من بعد إيماني ذو علاقة أفقية بين الإنسان وغيره أو علاقة عمودية بين الإنسان وربه، فإن هذا الإيمان يقسم إلى نوعين: معرفي وعرفاني[3]. فإذا كان النوع المعرفي ذو بعد فلسفي بالخصوص، فإن العرفاني ذو بعد صوفي أو التجربة الصوفية التي تعبر عن العمق الروحي للدين وهذا ما عبر عنه ولتر ستيس(Walter Terence Stace (1886-1967 بتعريفه للدِّين بقوله:« إن الدِّين عيان لشيء يقوم فيما وراء المجرى العابر للأشياء المباشرة، أو خلف هذا المجرى، أو في باطنه، شيء حقيقي ولكنه مع ذلك لا يزال ينتظر التحقيق، شيء هو بمثابة إمكانية بعيدة، ولكن في نفسه أعظم الحقائق الراهنة، شيء يخلع معنى على كل ما من شأنه أن ينقضي ويزول، ولكنه مع ذلك يند عن كل فهم، شيء يعد

1- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، الجزء الثاني، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، 2001، ص1204.

2- المصدر نفسه، ص1205.

3- عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، الجزء الأول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، 2013، ص19.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

امتلاكه بمثابة الخير الأقصى، ولكنه في الآن نفسه عصي بعيد المنال، شيء هو المثل الأعلى النهائي، ولكنه في الوقت نفسه مطلب لا رجاء فيه»[1].

## خطيئة الأب وميلاد الفيلسوف:

من الضروري الاعتراف المسبق بصعوبة الإلمام بموضوع الدين والتدين في فلسفة كيركيغارد في وريقات معدودات، وهذا راجع إلى تعدد المواضيع التي عالجها كيركيغارد من حب، زواج، قلق، موت، المصير، التدين الزائف، التهكم، فهو بحق فيلسوف وجودي عايش وجوديته بكل المعاني، كما يجدر بنا القول أن الحياة اليومية بسوداويتها فرضت نفسها على كيركيغارد لتولد لديه ذلك الحس الفلسفي الوجودي ومن خلالها أسس لفلسفته الوجودية.

سورين كيركيغارد أبو الوجودية، الفيلسوف الذي كان يطلق على نفسه أنه ابن الشيخوخة[2]، لأنه يوم مولده كان والده قد بلغ من العمر ستة وخمسون سنة، وأمه خمسة وأربعون سنة. ترعرع سورين في بيت تسوده السلطة الأبوية والتربية الصارمة، بيت أحكم الأب ميخائيل كيركيغارد المتوجس من انتقام الرب بسبب خطيئتيه: الأولى عندما قام على صخرة في براري إقليم جوتلند الغربي بالدانمارك ليسب الرب بسبب المعيشة الضنكا التي يحياها وهو طفل أكثر ما يحتاج للرحمة والشفقة من هذا الإله، أما الخطيئة الثانية فهي خيانته لزوجته التي كان يكن لها كل الحب، خيانة كانت مع خادمته سوريندا ترواند، التي سيتزوجها بعد وفاة زوجته الأولى.

حياة بالرغم من السعة المالية وحسن العيش، إلا أن القلق والخوف والاضطراب كان هو المسيطر على الحياة الأب، فبالرغم من كل الثراء والبنين، إلا أن الوسواس القهري والقلق من انتقام الرب كان هو المسيطر على حياة الأب، بل كان يعتبر هذه الحياة ما هي إمهال من الرب لينتقم منه شر انتقام، لهذا كان الأب- لا شعوريا- يورث القلق والرهبة والخوف إلى ابنه على الرغم من صغر سنه، اعتقادا منه أن عقوبة الرب ستحل بأصغر أبنائه "سورين"، فكانت حياة سورين، حياة قلق ومأساة على جميع الأصعدة، فكانت اعترافات الأب بالآثام والموحشة بالقلق والخوف والرعب، كفيلة ببناء شخصية الصبي الممزقة والمرعوبة القلقة.

ولم تكن حياة الأب القلقة والكئيبة إلا نتاج تعاليم الكنيسة الإنجيلية(البروتستانتية). حياة كتب عنها سورين كيركيغارد معلقا« إن أبي كان ينسى الفارق الكبير بين الطفل وبينه، وينسى أن الطفل برئ ومن ثم لا يستطيع

---

1- ولتر ستيس، الزمان والأزل، مقال في فلسفة الدين، ترجمة زكريا إبراهيم، المؤسسة للطباعة والنشر، بيروت 1967، ص 12.

2- فربتيوف برانت، كيركيغارد، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009، ص 10.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

إلا أن يسئ الفهم»[1]، كانت نفسية الأب قلقة ومسكونة بفكرة انتقام الرب، جعلته ينتظر هذا الانتقام في كل لحظة، ولم يرى أي عناية إلهية في كل ما جرى من حوله. فالبرغم من الأزمة المالية التي عصفت بالدانيمارك بسب الأوراق التي أصدرها البنك وبدون غطاء ذهبي، ما جعل الأملاك المودعة في ما عرف " بسندات الملكية " الوحيدة التي تنجو من هذه الأزمة، وكان والد سورين من ملاك الناجيين من هذه الأزمة، وبالرغم من كل هذه النجاة، إلا أنه رأى في كل هذا، استدراج من الرب لينتقم منه بطريقة مغايرة تماما، انتقام سيكون في المولود السابع الذي ينتظره وهو سورين كيركيغارد. لهذا عمل الأب على تربية ابنه تربية دينية صارمة ليصبح عالم لاهوت[2]. أوهام و وساوس جعلت من الأب يعيش قلقا طول حياته، ويرى في نفسه وابنه نفس قصة النبي إبراهيم وابنه إسحاق. وعن هذه التربية التي عمل الأب على زرعه في الابن المنتظر، كتب سورين كيركيغارد يقول: « في طفولتي تربية على مسيحية صارمة متشددة. لقد تربيت بصورة جنونية. لذلك انطبعت سوداوية الرجل العجوز الذي كان مصابا بها على ذاتي».

ينطلق كيركيغارد في دراسته لمفهوم الدين والتدين، من الواقع الذي عاشه، ومن التربية الأبوية الصارمة التي تربى عليها، فهو لم يرى إلا التناقض بين أقوال القساوسة وأفعالهم، فكيف يدعون رعاياهم إلى التقشف والاكتفاء بالضنك من العيش، وجعل المعاناة شعار حياتهم، وفي المقابل يتنعم القساوسة في رغد العيش مع ضمان راتب بعد التقاعد، من هذا الواقع انطلق كيركيغارد في تجربته الدينية الفردية ناقدا كل أشكال الدين والتدين الزائف. من هذا الواقع الديني المسيحي الزائف، ينطلق كيركيغارد في نقده للمسيحية في الدانيمارك خاصة والعالم المسيحي عامة، حيث طبع هذا العمل في كتاب تحت عنوان" الهجوم على العالم المسيحي"، لتصر بعد ذلك في سلسلة كتيبات تحت عنوان " اللحظة" The Instant ومن يتضح لنا من خلال هذا العنوان، أن كيركيغارد يعبر عن فلسفته الوجودية من خلال مفهوم اللحظة الفردية المعاشة، بعيدا عن الجمع أو الدهماء كما يسمهم كيركيغارد أو القطيع كما يسميه نيتشه[3].

عرف عن كيركيغارد فيلسوف وجودي مؤمن ولكن ذو نزعة تهكمية كانت السلاح الأكثر استعمالا في الرد على المستهزئين به في صغره أو في رده على القساوسة الانتهازيين الذين يعتبرون أنفسهم واسطة بين الله والبشر أو بين المسيح ورعاياه. وهم في حقيقة الأمر يخالفون كل تعاليم المسيح في نبذ الطقوسية والوسطية بين الله وعباده، ورغبة العبد الشخصية في طاعة الله، رغبة تكون وليدة الذات الإنسانية لا المجتمع، فالوجود الحق ينبثق عن الذات ولا ليس

1- حسن يوسف، فلسفة الدين عند كيركيغارد، مكتبة دار الحكمة، مصر، ب ط، ب ت، ص10.
2- المرجع السابق، ص14.
3- المرجع السابق، ص29.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

من الغير. وتعتبر المسيحية في نظر كيركيغارد هي الذاتية، وليست المسيحية الموروثة من الأسرة أو المجتمع، وفي هذا يقول كيركيغارد:« إن قبول المسيحية قبولا موضوعيا يعد من قبيل الوثنية أو الخرافة ... فالمسيحية طريقة للحياة وإذا قبلناها كمجرد طقوس، أو إذا قمنا بتفسيرها تفسيرا عقليا، فإننا بذلك نحيلها إلى العبث»[1]، و بهذا الموقف يؤكد كيركيغارد على فكرة الفردانية في الممارسة الدين، ممارسة يكون العقل والإيمان الشخصي الأكثر حضورا، وهما منبعا الحياة النفسية الفردية والكفيلان ببث الطمأنينة في الذات.

يؤكد كيركيغارد من خلال نقده للمسيحية القائمة على فكرة تقاطعه مع موقف لودفيج فيورباخ*(1804-1872) Ludwig Feuerbach : إن الكتاب من أمثال فيورباخ هم التشكيلة الأخيرة من المفكرين الأحرار، يمكن أن يفيدوا المسيحية كل الفائدة لأنهم يدافعون عنها أساسا ضد مسيحي هذه الأيام، الذين ما عادوا يعرفون أنها لم تعد إنسانية وتقدما، بل صارت عالما مقلوبا[2]. فالنقد الذي يتوجه بها كيركيغارد للمسيحية القائمة يوم ذاك، تلك المسيحية المتناقضة الذي يمثلها القساوسة والآباء المستغلين لسذاجة رعاياهم، وإيمانهم القائم على فكرة التسليم والاعتقاد بدون انتقاد، اعتقاد حتى وإن كان يتنافى ومنطق العقل.

لهذا يقول كيركيغارد عن هجومه للكنيسة: إن السبب الحقيقي من وراء هجومي على الكنيسة يكمن في أن تعاليمها تتجاهل المخاطرة والمفارقة من الإيمان. لهذا نجد كيركيغارد يوجه نقده لثلاثة أطراف مهمة في عصره، لا تقل أي واحد أهمية عن الأخرى، وهي الصحف التي تعمل في نظره على تخدير الشعب، والكنيسة الرسمية، والفلسفة الهيغيلية السائدة في عصره والتي يمثلها. حيث كانت الصحف في نظره تفكر بالنيابة عن الشعب، والكنيسة تؤمن بالنيابة عنه كذلك، والأخيرة – الفلسفة الهيغيلية – تختار بالنيابة عن الشعب[3]. تعتبر الحرب التي دخل فيها كيركيغارد في انتقاد الممارسة الكهنوتية من أبرز الحروب الفكرية في تاريخ الدانيمارك خاصة في فكرة شاهد على الحقيقة التي عبر عنها الأسقف يعقوب بطرس منيستر(1775-1854)، حيث كان يعتبر نفسه شاهد على الحقيقة، وفي هذا يقول كيركيغارد:« هل كان الأسقف منيستر شاهدا على الحقيقة؟ وهل كان شاهدا أصيلا على الحقيقة؟ هل هذه

---

1- المرجع السابق، ص31.

* لودفيغ أندرياس فيورباخ فيلسوف ألماني ولد في 28يوليو 1804 في مدينة لاندسهوت بولاية بافاريا الألمانية وتوفي في رايخنبرغ في 13سبتمبر .1872 في البداية كان تلميذاً لهيغل ثم أصبح من أبرز معارضيه. أدى كتابه « أفكار حول الموت والخلود » الذي نشر في عام 1830 تحت اسم مستعار إلى فصله من الجامعة.

2- المرجع نفسه، ص33.

3- توماس آرفلين، الوجودية: مقدمة قصير، ترجمة مروة عبد السلام، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، مصر، الطبعة الأولى 2014، ص36.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحقيقة؟»[1]، وبالرغم من أن منيستر كان كاهن والد كيركيغارد، و كثيرا ما استمع لمواعظه وخطبه، إلا أن هذا لم يمنع من معارضته في آخر حياته وهذا بسبب المنعرج الملاذتي الذي ركن إليه الأسقف.

وشاهد الحق عند كيركيغارد هو الذي تبدأ حياته معاناة وتنتهي بها، معاناة ظاهرية وباطنية من قلق وخوف والرعشة، هذه الحياة القلقة هي التي تجعل من الفرد باحثا عن الحقيقة من أجل الصفاء الروحي والطمأنينة، حتى وإن توصل به الأمر إلى التضحية بذاته مثل ما حدث للمسيح. والإنسان المعاقب المساء معاملته، هو الشاهد الأصيل، لأنه ما يفتأ يخرج من سجن حتى يدخل إلى غيره، وفي النهاية مترق حيث يعترف به في قمة السلك الكنسي بين الشهود الأصلاء على الحقيقة. وأخيرا يصلب أو يضرب عنقه أو يحرق أو يشوى على محرقة وينقل جسمه الفاقد الحياة على يد الجلاد بعيدا عن موقع الوفاة دون أن يدفن. ومن هنا يدفن كشاهد على الحقيقة[2]. وكان لهذا الرد على موقف الأسقف المادة الدسمة للصحافة في الرد على كيركيغارد خاصة من خليفة الأسقف منيستر، لينشر كيركيغارد في سنة1855 مقالا في صحيفة " الوطن" مقالا تحت عنوان "ماذا أريد؟ يوضح فيه وجهة نظره بشكل جلي فكتب يقول:« بكل بساطة : أريد الإخلاص. أنا لست قوة مسيحية ضد التساهل المسيحي كما صوروني الناس ذو النية المغرضة. كلا أنا لست تساهلا ولا القسوة، أنا إخلاص إنساني. إن التساهل الوارد في المسيحية الشائعة أي في هذا البلد أريد أن أضعه جنبا إلى جنب مع العهد الجديد لأرى كيف يمكن أن يرتبط هذان الشيئان. وحينئذ إذا ثبت هذا، إذا استطعت أنا أو أي إنسان آخر أن يبين أن شبها بالمسيحية في العهد الجديد: حينئذ سأتفق مع هذا بأكبر فرح.

لكن هناك شيء لن أفعله ولا لخاطر أي شيء في العالم: لن أحاول بالكبت أو الحيلة أن أقدم الوهم بأن المسيحية العادية في هذا العهد ومسيحية العهد الجديد متشابهتان. تنبهوا، إنني لن افعل هذا»[3]، يتضح من هذا القول بشكل جلي ذلك الموقف الكيركيغاردي من المسيحية المتناقضة وتعاليم العهد الجديد، مسيحية ممثلة في أساقفة وقساوسة يبيعون الوهم والدجل لرعاياهم واستغباءهم من أجل ضمان عيشة هنية ومرتب بعد التقاعد، كل هذا باسم الدين وما هو في حقيقة الأمر إلا تدين زائف يوظف تعاليم العهد الجديد لخدمة مصالحهم الشخصية. والهدف

1- فريتيوف برانت، كيركيجرد، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1981، ص 157.

2- المرجع السابق، ص158.

3- المرجع السابق، ص ص 160،161.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الأسمى الذي كان يرومه كيركيغارد من هذا النقد هو نبذ كل نفاق أو استغلال للدين مع الدعوة الصريحة للإخلاص وضرورة التوافق بين القولي والعملي.

ولم يقف كيركيغارد عند هذا الرد فقط، بل كانت له العديد من الردود نشرها في مجلة الموسومة بـ" الآن" الذي كتب فيها عن معنى المسيحي والمسيحية وخاصة عن الكهنة واصفا إياهم بأكلة لحوم البشر و بأكبر شكل وحشي، « إن الكاهن يستقر آمنا ومسترخيا في مقره الريفي، ويأمل أيضا أن يكتسب انتشارا جذابا، وزوجته هي نفسها ممتلئة، ولا عنها أولاده. وكل هذا بسبب معاناة ومرض العظماء شاهد الحقيقة، هذا هو ما يعيش عليه الكاهن، وهؤلاء العظماء هم الذين يأكلهم ويتغذى معهم من اجل الفتنة المبهجة للحياة ولزوجته ولأولاده. لقد احتفظ بهؤلاء العظماء في أحواض من الدموع. وهم يصيحون:" اتبعوني، اتبعوني" وهي صيحات بلا جدوى. ربما يظل للحظة يتحصن تلك الصيحة ولكن مع كر الأعوام يصبح قاسيا حتى انه لا يعود يسمعها. ربما إذا بدأنا يشعر بالخجل عندما يجد لأنه يسمى " تلميذا مخلصا للمسيح" ولكن مع كر السنين يعتاد على سماعها حتى أنه يعتقد هو نفسه أنها حقيقة. وهكذا يموت وقد انحرف كثيرا ويدفن على انه شاهد على الحقيقة»[1]. كان النقد الموجه للقساوسة جد قاس من طرف كيركيغارد كل هذا محاربة للرياء الادعاء للزهد والترفع عن ملذات الحياة وواقع الحال ينفد كل ادعاء زائف، فالقساوسة يتنعمون في رغد من العيش، وعلى منابر الكنائس يذرفون دموع النفاق والرياء. فهؤلاء القساوسة يتدينون تدينا زائفا، حيث لا يشعر الكاهن أو القس بأي حرج في ذلك حتى وإن خالفت تعاليم المسيح والعهد الجديد، كما أن القس لا يجد حرج في اعتناق معتقدات لا تتحول إلى سلوك كعملي، وأقوالا لا تتعدى حدود الشفاه، بل من العكس ذلك تماما تجده يشكر الله ويقرب القرابين لله لأنه يطبق هذه المعتقدات وكأنه أصبح يعيش الوهم. وبهذا يصبح هذا القس يعيش في عالمين مختلفين يروح ويغدو من الواحد إلى الآخر[2].

ويضيف كيركيغارد في مقاله في اللحظة 57 التعبير أكثر عن امتعاضه عن الحالة التي وصلت إليها الكنيسة والمسيحية فيقول:« يعظ القس بأنه يشهد (حسنا شكرا على ذلك)، بأن المسيحية هي التبرؤ من، ثم يجعل هذه الموعظة مصدر رزقه، ووظيفته، إنه لا يعترف بنفسه أبدا، أن هذه في الواقع ليست مسيحية. لكن إذا أين هو التبرؤ؟ أليست هذه أيضا حالة شاعر؟ بيد أن الشاعر يمارس النفاق مع الناس . والقس هو شاعر، كما شاهدنا حتى الآن تصبح عبادة الله الرسمية على هذا النحو: أن تنافق، لكي تحصل على المكرمة الكبيرة، التي لا تردد الدولة طبعا من تقديم الأموال لها. ولكي نمنع الريا، فإن أسهل الطرق لذلك: هو أن يعترف" القس"، بأن هذه في الواقع ليست

1- المرجع السابق، ص ص 163،164.

2- إمام عبد الفتاح إمام، كيركجوررائد الوجودية" الجزء الثاني"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص208.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المسيحية . وما عدا ذلك فهو نفاق، ولهذا فإن العنوان لهذا المقطع ليس صحيحا تماما، بأن الشاعر، إلهيا، هو الأكثر خطرا على الجميع. الشاعر لا يدعي سوى أن يكون شاعرا، إن ما هو أكثر خطرا أن شخصا، الذي هو مجرد شاعر، من خلال أن يصبح كما يسمى قسا، يقدم نفسه باعتباره أكثر جدية وحقيقة من الشاعر، ومع ذلك فهو مجرد شاعر، إن هذا نفاق من نوع عال. ولهذا نحتاج إلى موهبة شرطي، شخص قادر على كشف كل ما هو مزيف، بمجرد ذكر الكلمة، الإدعاء بأنه شاعر فقط»[1]. يوضح في هذا المقطع أو اللحظة كما أطلق عليها كيركيغارد ضرورة الحذر من الأفاكيين والمستغلين لمشاعر الناس، فهؤلاء القساوسة لا يختلفون عن الشعراء، فالشاعر يستعمل الخيال لتهيج مشاعر الناس أو إسعادهم فقط من غاية واحدة وهي كسب قوت يومه وهذا أمر عادي كونه شاعر لا يصل إلى حد تسيرهم والاستحواذ على مشاعرهم باسم أي صفة، في حين نجد القس لا يختلف عن الشاعر كونه يستعمل الخيال ولا يؤمن بأي كلمة يقولها ولنفس الغاية ضمان قوت يومه مع أن هذه تضمنه الدولة بالراتب الذي تقدمه له، إلا أنه يتعدى إلى أكثر من الراتب فهو يستغل عواطف رعاياه وسذاجتهم وإن كانوا ذو شاهدات علية ولكن بدون عقل ناقد، ونجد هذا التناقض في موقف القس بين ما يقول وما يفعل، لهذا توجب ضرورة الحذر من هؤلاء القساوسة المدعين فهم لا يمثلون إلا مسيحيتهم التي صنعوها لأنفسهم ولا تتوافق وتعاليم المسيح، ولا علاقة لهم لا بالله ولا بالإيمان. وإذا كان يقدم نقده للقساوسة فهذا لا يعني أنه يستثني الكنيسة بل يوجه لها النقد نفسه متهما إياها المتاجرة بالدين وتشويه المسيحية الحقة، فيقول: « التهمة التي أوجهها للكنيسة القائمة هي أن كل شيء يبنى على كذب: عبادة الله ليست سوى سخرية من الله، والمشاركة فيها جريمة. وفي الوقت ذاته أود أن أسوق اتهاما أعظم بأن أبين أن الكنيسة القائمة نفسها تعرف أن كل شيء يقوم على الكذب، وأن هذا هو السبب في عدم القيام بأي فعل. آه! إنه لأمر مرعب حقا أن يفكر المرء في الأعماق التي هويت إليها الكنيسة القائمة، وإلى أي حد بلغت التفاهة والنزعة(المادية) والقدرات( المتوسطة) وألوان الكذب.

لكن لهذا السبب نفسه . وستشع هذه الحكمة البارعة للكنيسة القائمة على مجرى الزمن»[2]، يتضح لنا من خلال هذا الموقف أن النقد الكيركيغاردي وجه بالخصوص للكنيسة المتواطئة مع القساوسة في تخدير الشعبي وممارسة التدين الزائف، ولا يمنع كل هذا من مجاهرة الكنيسة بأنها تدعو إلى المسيحية الحقة.

**كيركيغارد فيلسوف الخلاص:**

1- عبد الجبار الرفاعي، الحب والإيمان عند كيركيغارد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى 2016، ص137.

2- إمام عبد الفتاح إمام، كيركجور رائد الوجودية، ص339.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بعد النقد الذي وجهه كيركيغارد لكل من الكنيسة والقساوسة، واتهامهم بممارسة النفاق والتدين الزائف من أجل استغلال الرعايا، نجده في المقابل يوضح معالم خارطة طريق التدين الصحيح والمسيحية السليمة، كونه مخلص المجتمع المسيحي من وهم التدين الزائف الذي أغرقه فيه القساوسة، ويعرف الإيمان فيقول:« لا يعرف الإيمان في العهد الجديد على نحو عقلي بل على نحو أخلاقي: إنه يشير إلى علاقة شخصية بين الله والإنسان، والإيمان كتعبير عن الإخلاص مطلوب على أنه اعتقاد ضد الفهم، الاعتقاد لا يرى الإنسان من خلاله ولهذا يتحدث الرسول عن طاعة الإيمان» موقف يعبر فيه صراحة عن محور فلسفة التي أسس لها، فلسفة وجودية قائمة على فكرة الفردانية والتفرد، فالإيمان لا يحتاج إلى واسطة بين الله والإنسان بل هو قناعات شخصية وممارسة فردية تنبثق من الذات لا تفرض من الخارج، لأن خار ج الذات مجرد زيف، وهو ما يمثله القساوسة في تدينه الزائف. ولا يكون هذا الإيمان ذو نفع إلا إذا كانت هناك حرية شخصية وهذه الأخيرة أساس الفلسفة الوجودية. تنقسم أعمال كيركيغارد إلى ثلاثة أقسام متباينة:

1- المؤلفات الجمالية: أصدرها تحت أسماء مستعارة، تظم مؤلفاته " إما...أو" و" خوف ورعدة" و" مفهوم القلق" وكتاب " مراحل على طريق الحياة. وتتميز هذه المؤلفات بأسلوبها الرومانسي الشاعري.

2- المؤلفات الفلسفية: تتميز هذه المؤلفات بالصبغة الفسلفية التي طغت عليها، ولقد نشرت هذه الأعمال بأسماء مستعارة، وتارة باسمه الحقيقي. ونجد منها كتابه" الشذرات الفلسفية".

3- المؤلفات الدينية: وتظم كتب دينية ومقالات ومنشورات متنوعة، ولقد نشرت تحت اسم سورين كيركيغارد. ولقد عرفت هذه المؤلفات باسم" أحاديث تهذيبية أو إرشادية"[1].

ولا يخرج التهكم من روح فلسفة كيركيغارد بل يعتبر محرك فلسفته برمتها، حيث نجد التهكم ضد مخالفيه أو منتقديه أو حتى رده على أباء الكنيسة لهذا يعتبر مفهوم التهكم نقطة البدء الحقيقية في فلسفة كيركيغارد[2]. ولقد اتخذ كيركيغارد السخرية والتهكم، كوسيلة من وسائل التعبير والاتصال مع المجتمع. والعودة إلى الإنسان وتذكر وجوده، هذا الإنسان الذي أقصته الفلسفة الهيغيلية. وبالرغم من النقد الذي قدمه كيركيغارد للفلسفة الهيغيلية، خاصة في نظرتها الشمولية المطلقة إلا أنه استعار منها العديد من المفاهيم، كمفهوم الديالكتيك.

كيركيغارد وبدراسته للتهكم، كان يهدف إلى تحرير الموجود "الإنسان" من سيطرة الفلسفات النسقية التي سلبته إنسانيته بسلب مقومات وجوده الأساسية "الحرية"، فأصبح يعيش في اغتراب عن وجوده الحقيقي الأصيل، بل

1- شانتان آن، الحب في فكر سورن كير كجورد، ترجمة محمد رفعت عواد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ب. ط، 2011، ص.ص 7-8.

2- إمام عبد الفتاح إمام، كيركجورد، ص13.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أصبح يحيا في يقين موضوعي ومجموعة من الأوهام، وهنا نجد كيركيغارد بمعوله التهكمي في اليقين الموضوعي، يجعل الناس يرتدون إلى ذواتهم ويفيقون من سباتهم، وتتجلى لهم حقيقية وجودهم. فمن خلال التهكم نستطيع إيجاد الإجابة عن السؤال الذي شغل سقراط" ما الإنسان؟"، كما أن التهكم« يعيد الفرد من جديد إلى نفسه، ويخلق فيه اهتماما بوجوده الأخلاقي: فلا يمكن أن تكون هناك حياة بشرية أصيلة بدون تهكم»[1]، ويكون التهكم كحلقة بين الوجودين الحسي الزائف والأخلاقي الحقيقي. فالأول زائف ناقص وغير واعي، والثاني هو الأصيل الواعي، ولكن التأتي إلى هذا الأخير لا يكون إلا بالتهكم الذي يعتبر بمثابة الذبابة التي توقظ البشر من غفلتهم وتبث فيهم الوعي الذاتي بحقيقة وجودهم، ولهذا قسم كيركيغارد الذوات إلى ثلاثة أقسام حسب تقسيم مؤلفاته.

يرى كيركيغارد أن العملية الارتدادية التي يقوم بها الإنسان إلى ذاته، ما هي في حقيقة الأمر إلا عملية فصل عن الآخر، بإثبات الوجود الشخصي بالثورة على النظم و التقاليد الاجتماعية التي تقيد الفرد. وإذا الفلسفة الكيركيغاردية تقوم على أساس الخطيئة الأولى، ومفهوم القلق والحرية، فهي تعلو كذلك من شأن التهكم أو فليكن التهكم الحجر الأساس في هذه الفلسفة، فالتهكم لا يكون إلا ذاتية وهنا نجد حضور الذاتية، لهذا يربط كيركيغارد بين التهكم والذاتية فيقول:« فالتهكم تحديد للذاتية وتعين لها، ومن ثم فلا بد أن يرتبط ظهوره لأول مرة في التاريخ بظهور الذاتية الأولى، وذلك يشير إلى نقطة تحول تاريخية تظهر فيها الذاتية لأول مرة، وهاهنا نجد أنفسنا مع سقراط»[2]، فالموقف السقراطي في حقيقة الأمر دعوة إلى الذاتية الفردية والإعلاء من شأنها، بالترابط بين الذاتية والتهكم، شرط ضروري لتطور التهكم فحتى « يكتمل التهكم لا بد للذات أن تصبح على وعي بتهكمها، وان تشعر على نحو سلبي، أنها تحررت، وهي تشعر بذلك عندما تدين الواقع الفعلي المعطى وتستمتع بهذه الحرية السلبية، لكن لكي يحدث ذلك فلا بد للذاتية أن تتطور، أو بالأحرى عندما تؤكد الذاتية نفسها يظهر التهكم، فالذاتية تشعر أنها تواجه الواقع الفعلي المعطى، وتشعر بقوتها الخاصة وبشرعيتها ومغزاها، وهي بشعورها هذا تحافظ على نفسها من النسبية التي يحاول الواقع المعطى أن يضعها فيها»[3].

وأخيرا يمكننا القول أن كيركيغارد كان الصوت الثائر في وجه كل زيف أو ممارسة باسم الدين تروم استغلال المجتمع من أجل مصالح الكنيسة. وبالرغم من الحياة القصيرة التي عاشها كيركيغارد إلا أنه يعيد للإنسان إنسانيته المهدورة باسم التدين الزائف، كما أسس للفلسفة الوجودية التي ألهبت المجتمع الإنساني خاصة بعد الحرب

1- S.Kierkegaard : The Concept of Irony, P.338.

2- إمام عبد الفتاح إمام، كير كجورد، ص19.

3 - S.Kierkegaard : The Concept of Irony,P.280.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

العالمية الثانية عندما وجدت البشرية نفسها تعيش قيم الاغتراب والتوحش، فذاب الإنسان في عالم التقنية ففقد وجود العام والخاص على حد سواء.